

الوآقعة السآسآة والسرد الزائف

2017-10-11 بروآكآ سنآكآ

لآ هآول

آنآف - فآ عسر تسوآه وسائل الإعلآم الآآآماعآة المسببة للآنقسآم و"الأآبار الآزبآة الزائفة"، لم آعد فكرة أن "الأعمال أعلى صوآا من الكلمات" صآقة. فآنما نعد الآسآكشآف، نجد أن الكلمات أصبحت قوية وآنطوآ على مشآكل معقآة، وآصآة فآ سآآق الآآرافآ السآسآة. وكان الآآآماع الأآآر للآمعآة العامة للأمم المآآآة فآ نآوآورك بمآآبة آذكرة أآآرة بأن الكلمات لا آزال آمآل أهمآة كبرآ فآ عالم آلبلومآسآة.

آنآزع الرآآس الأمآركآ ءونآل آرمب قآر كبرآ من الآهآآم عآما علق قآآلا إن الولاآآ المآآآة "لن آكون أمآمآآ آآآآر آآر آآمآر كورآ السآمآلآة بالآمآل" إآآ هآآآها آمهورآة كورآ الءآمقراطآة السآعبآة أو هآآآ آلفآها. والوآقع أن أغلب الآآراء العسكركآن آآفقون على أن نشوب آرب ءآنامآكآة على شبه الآزآرة الكورآة من شأنه أن آآآء آمهورآة كورآ الءآمقراطآة السآعبآة، وربما كورآ الآنوبآة معها.

آآء أن بعض أجزاء أخرى فآ آطآب آرمب أمام الأمم المآآآة، وآصآة المقآاطع الآآ آناول فآها المصآآح الوطنآة والسآآآة، آآآآق إلى المآزآء من الآمل. الوآقع أن آرمب لا آآفآ رآبآه فآ "وضع أمآركآ أولآ"، وقآ آكآ على هآآ الآعهآ على منبر الأمم المآآآة. ولكنه آآ آآآ القآآة الآآرآن على وضع ءولهم أولآ. فقآل: "لكآ آآسنآ لنا أن نآآلب على مخآطر الآضر وأن نآقق وعآ المسآقبل، آآعآن علآنا أن نبدأ بآكمآه المآضآ. فنآآآنا آعآمآ على آآآلف الأمم القوآة المسآقلة الآآ آآآضن سآآآآها لآعزآز الأمن والآرخآ والسلم لصالآها وصالآ العالم.

بوسع المرء أن يستنتج، كما فعل كثيرون، أن مثل هذه التصريحات تشير إلى إحياء تفاني الولايات المتحدة في الواقعية السياسية عندما تتعامل مع شؤون العالم. وكما لاحظ المؤرخ جون بيو في تعليقه عام 2016 على تاريخ المصطلح، كان من المتوقع أن تتبدل الحال: "تتبع مناقشاتنا للسياسة الخارجية دورات، حيث يعلن صناع السياسات أنفسهم أكثر مثالية، أو أكثر واقعية".

ولكن نظرة بيو تذكرنا أيضا بأن المسعى المنفرد لتحقيق المصالح الوطنية – ذلك النوع من النظرة العالمية التي يراها ترمب – ليس من الواقعية السياسية في شيء على الإطلاق إذا انفصل عن فكرة تحويلية أو غرض معياري. ولن يخدم عزل المخاوف الأخلاقية عن الشؤون العالمية إلا كسبب لإضعاف الولايات المتحدة وكل من يقلدونها.

ظهر مفهوم الواقعية السياسية من النتائج المختلطة للثورات الأوروبية في عام 1848، عندما كان لتوحيد ألمانيا في المستقبل العديد من التجليات المحتملة، ولكن الهدف السياسي الأكبر – النظام الدولي الذي يضم دولا قومية قوية – كان واضحا رغم ذلك. ولكن في أعقاب الإعلان عن عقيدة ترمب، "أميركا أولا"، يتلخص التحدي الذي يواجه العالم اليوم في تمييز الغرض من الواقعية السياسية.

اشترك حضور الاجتماع السنوي للمنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس هذا العام في إجابة واحدة. فهناك، قدم الرئيس الصيني شي جين بينج دفاعا قويا عن العولمة وأكد على رؤية مفادها أن الدول، في ملاحقة الأجندات الوطنية، ينبغي لها أن تحدد الأهداف "في السياق الأعرض" وأن "تمتنع عن ملاحق مصالحها الخاصة على حساب آخرين".

إذا كان الاختلاف بين زعمي الدولتين الأكثر قوة في العالم جوهرى إلى هذا الحد في النهج الذي تناول به كل منهما العلاقات الدولية، فما هي آفاق تعزيز التعاون على الصعيد العالمي؟

الواقع أن التاريخ حافل بأمثلة لصراعات ناشئة عن قوة صاعدة تتحدى نفوذ ومصالح قوة قائمة. وخلال حرب البيلوبونيز، وفقا للمؤرخ اليوناني ثوسيديدس: "كان صعود أثينا، والخوف الذي غرسه في أسبرطة، هو الذي جعل اندلاع الحرب حتمية لا مفر منها". ومن المؤكد أن كيفية تجنب الصين

والولايات المتحدة لما أطلق عليه جراهام أليسون من جامعة هارفارد وصف "فخ ثوسيديديس" تشكل للعالم مصدرا للقلق الشديد، وكذا ضمان عدم تسبب المنازعات الجيوستراتيجية في أماكن أخرى في اندلاع العنف.

وكما زعم عالم البيولوجيا روبرت سبولسكي من جامعة ستانفورد، فإن التشعبات السلوكية الثنائية التي قد تبدو حتمية وبالغة الأهمية في وقت ما، ربما "تتبخر في لحظة" إذا توفرت الظروف المناسبة. يرى سبولسكي أن "نظرية الاتصال"، التي وضعها في خمسينيات القرن العشرين عالم النفس جوردون ألبورت، من الممكن أن تعزز المصالحة بين المتخاصمين، وتساعد في سدة فجوة "نحن في مقابل هم". وقد يؤدي "الاتصال"، سواء كان بين أطفال في مخيم صيفي أو مفاوضين حول طاولة المفاوضات، إلى فهم أوضح، إذا كانت المشاركة مطولة وأديرت على أرض محايدة، وكانت موجهة نحو تحقيق نتائج، وكانت غير رسمية وشخصية، وتجنبت القلق أو المنافسة.

وما يُقال خلال هذه المشاركات بالغ الأهمية. فكما لاحظ روبرت جيه. شيلر، رجل الاقتصاد الحائز على جائزة نوبل، فإن القصص، سواء كانت صادقة أو لم تكن، هي المحرك لقرارات كبرى، وخاصة بشأن الاختيارات الاقتصادية. وفي دراسته بعنوان "اقتصاد السرد"، يسلط شيلر الضوء على التأثيرات التي قد تخلفها القصص "الفيروسية" (السريعة الانتشار) على الاقتصاد العالمي. وهو يشير إلى أن اختيارات الناس وتقييماتهم للأحداث الحالية تقوم جزئياً على القصص التي يسمعونها حول أحداث الماضي. على سبيل المثال، يطلق على الأزمة المالية العالمية في الفترة من 2007 إلى 2009 وصف "الركود العظيم" لأن القصص الصادمة المؤلمة من فترة الكساد العظيم في ثلاثينيات القرن العشرين لا تزال حاضرة في ذاكرتنا الجمعية.

وتؤثر الكلمات والروايات على الشؤون الدولية على نحو مماثل. فالروايات التي تنشأ رداً على – أو نتيجة ل – انقسامات وطنية وإقليمية وعالمية، كثيراً ما تُبنى على ثنائية "نحن – هم". ولكن لا ينبغي لنا أن نخلط بين هذه الروايات الوطنية، بقدر ما قد تبدو جذابة في نظر بعض الناس، وبين الواقعية السياسية، لأنها تظل مجردة من الإبداع، والإلهام، والمثالية اللازمة للتغيير التحويلي.

ربما تنتشر القصص التي تسعى إلى الحفاظ على المزايا الفردية للتكامل العالمي كالفيروس على

الصعيد المحلي، برغم أنها تحد من الالتزامات المشتركة، وذلك لأن المواطنين يتوقون إلى القيادة المستجيبة التي تعالج الهموم والشواغل المحلية والوطنية. ولكن يظل من الصعب للغاية تحقيق الهوية المشتركة والغرض الجماعي، على الرغم من حقيقة مفادها أننا نعيش في عصر الشبكات الاجتماعية.

هذه الحقيقة وحدها من غير الممكن أن تعفي الحكومات من مسؤولياتها الإقليمية والعالمية. ولا ينبغي للصدوع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي نشأت أن تعمل أبدا على تعزيز التعصب أو التردد في اتخاذ القرار أو التقاعس عن العمل. ولهذا السبب، سوف يسعى الاجتماع السنوي للمنتدى الاقتصادي العالمي العام المقبل إلى إعادة توجيه القادة نحو تطوير سرد مشترك يعمل على تعزيز التعاون لصالح هذا الجيل وكل جيل يأتي من بعده.

* لي هاول عضو في مجلس إدارة المنتدى الاقتصادي العالمي

<https://www.project-syndicate.org>